ع 3 د 3



صاحب الجلالة يوجه خطابا الى الشعب المغربي بمناسبة الذكرى العاشرة لانطلاق المسيرة الخضراء

الدار البيضاء ـــ وجه صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني من القصر الملكي خطابا بمناسبة الذكرى العاشرة لانطلاق المسيرة الخضراء. وهذا نصه :

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

شعبي العزيز

اننا نحتفل جميعا بالذكرى العاشرة للمسيرة الخضراء، وفعلا في سنة ألف وتسعمائة وخمس وسبعين انطلقت مسيرتك، ووطأت ترابك الصحراوي، ووصلت رحمك باخوانك في الصحراء، وسجدت على رمالها شكرا لله سبحانه وتعالى على كرمه وانعامه، وبعد بضعة ايام صليت صلاة الجمعة صلاة المجاهدين المرابطين على ارض الصحراء المحبوبة.

هذه شعبي العزيز علامات تاريخية وعاطفية لا يمكن لاحد منا ان ينساها او ان تنمحي من ذاكرته، ومما نحمد الله سبحانه وتعالى عليه أن هذه المسيرة قام بها المغرب في زمن كانت فيه الوسائل السمعية البصرية منتشرة في بلادنا.

فكل من لم يشارك في المسيرة فعلا، شارك فيها وهو في عقر داره، وأحسن من هذا حتى الشباب والاطفال ذوي الست والخمس سنين كلهم شاركوا معك بقلوبهم وعواطفهم ووطنيتهم وذاكرتهم في هذه المسيرة، وهذا مما يجعلنا جميعا ـــ شعبي العزيز ـــ مطمئنين على مستقبلنا من ناحية التراب الوطني الذي حفظه ابناؤنا وحتى الصغار منهم ليسلموه كذلك الى من يليهم من المغاربة.

عشرة اعوام شعبي العزيز، لم تكن بالسنين الخفيفة على الكواهل، ولم تكن بالسنين التي تقبل الارتجال، ولم تكن بالسنين التي تخضع للعواطف وللنزوات، بل كانت سنين قطعناها جميعا بصبر ومصابرة، سياسيا ودبلوماسيا، خطوات بعد خطوات دون تردد ودون تقاعس، سنوات من السهر وسنوات من انشغال البال، وسنوات من الاختيارات الصعبة في الداخل وفي الخارج، ولكن ولله الحمد مرت هذه السنوات ولم تكن سنوات عجافا بل كانت سنوات كريمة وسنوات ملحمة وسنوات امتحان لا سنوات محنة، بل سنوات التحام، وسنوات سير مطمئن غير مرهوب نحو الأهداف ونحو تحقيق المطامح.

في هذه السنين شعبي العزيز، حاولنا بجميع الوسائل ان نتجنب المعركة العسكرية، وان نغلب جانب العقل والاناة والحوار وحسن الجوار الا اننا اضطررنا الى ان نقوم بما قمنا به.

أولا : لنظهر للعالم بأجمعه أننا نحاور ونتذاكر، ولكن الحوار ليس معناه العجز ولا معناه التردد، كما اظهرنا للعالم بأسره ان الثروات المغربية ولله الحمد ثروات مهمة هائلة وفي مقدمتها الثروات البشرية، واظهرت شعبي العزيز بتضحياتك مدنيين وعسكريين في كل يوم على كل مستوى، في كل نادي وفي كل بيت ودار، أظهرت شعبي العزيز أنك إذا قررت بعد الله سبحانه وتعالى، عزمت وأظهرت شعبي العزيز أنه يمكنك أن تتسامح في كل شيء، وأن تتنازل عن كثير من الأشياء سوى أرضك ووحدة ترابك.

طيب، فبعد بضع سنين كما رأيت، سيطرنا ولله الحمد من الناحية العسكرية على الموقف في الصحراء، سيطرنا لاننا صبرنا ولاننا ضحينا ولاننا تحملنا. سيطرنا لان الجندي المغربي ولله الحمد جندي يمكن لك ان تفتخر به اليوم كما افتخر به آباؤك وأجدادك، سيطرنا لأننا تمشينا في الميدان العسكري بأناة وبميتدولوجيا وباستراتيجية تطابق تمام المطابقة ما حاربناه من طقس ورمال ومسافات شاسعة، وعدو يتهرب ويفر من المعركة.

سيطرنا شعبي العزيز كذلك حتى من الناحية السياسية، اننا افحمنا اعداءنا وخصومنا، فمنذ سنة الف وتسعمائة واحدى وثمانين والمغرب له المبادرة، قال المغرب أريد الاستفتاء، وقال ايضا انا مستعد للاستفتاء، ففي سنة احدى وثمانين قرر المغرب قبول الاستفتاء، وفي سنة اثنين وثمانين وضع مع اخوانه الافارقة وسيلة تطبيق ذلك الاستفتاء، وكنا هكذا، فاذا بنا نباغت بمفاجأتين :

المفاجأة الاولى وهي العظيمة والجسيمة وهي الخطيرة، لا علينا بل على افريقيا، الا وهي ان منظمة الوحدة الافريقية تنكرت لدستورها وخرقته هي بنفسها ناسية ان مثل هذه الاحداث احداث التفرقة والانفصالية التي اراد البعض ان يسلطها في المغرب ذلك البلد الاصيل، تترقب جميع او بعض او اكثر ما يمكن من الدول الافريقية، وانها بما فعلته قد خلقت سابقة من اخطر السوابق، ولا ادل على ما اقول من انه لم يمض اكثر من شهر ونصف على اعتراف دولة من اهم دول عدم الانحياز بالمرتزقة حتى اصبح طرف مهم منها — حسب الاخبار التي قرأناها البارحة واليوم — وليس من اصغر اطرافها لا يطالب بالاستقلال الذاتي فقط بل يطالب بالاستقلال النهائي، وهكذا يجب على كل مسؤول في هذا الميدان ان لا يضع رجلا بعد الاخرى حتى يرى عواقب مسيرته، يرى ما يمكن ان يترتب على ما يخلقه من سوابق.

المفاجأة الثانية كانت في منظمة الوحدة الافريقية انها تطالب المغرب بالمذاكرة او المفاوضة المباشرة مع العاقين من ابنائه، والخارجين على طاعته، والمغرب لا يمكنه ابدا ان يقوم بمثل هذه الخطوة، والمغرب وخديمه الاول تربى في مدرسة الوطنية لمحمد الخامس طيب الله ثراه، وانني اذكر انه في سنة من السنوات طلبت الاقامة العامة ان تتفاوض مع سيدي محمد الخامس رحمه الله فيما يخص الدستور والاستقلال الداخلي، فرفض رحمه الله قائلا : لا أتفاوض مع الاقامة العامة لان المقيم العام ليس الا وزيرا من وزرائي — على حسب الحماية — المقيم كان وزيرا للدفاع ووزيرا للخارجية لا يمكنني ان اتفاوض الا مع الند لا مع من هو دوني، هذه هي مدرستنا، فكيف — وقد رفضنا ان نفاوض الاجنبي الذي كان يسيطر آنذاك على دواليب الادارة المغربية، لا على السيادة — نقبل ان نتفاوض مع من هم دوننا ومن نعتقدهم مغاربة، ولكنهم عاقون وشاقون عصا الطاعة ؟

ومع ذلك لم نسد الباب للحوار، فقمنا بجولات مع جيراننا سواء في مستوى القمة او بتبادل الرسل، وكنا مرنين اقصى ما يمكن ان تكون المرونة، ولكننا حينما شعرنا بان قاعدة الجدية التي كان يجب ان تنطلق منها المحادثات والمذاكرات والمناقشات، لم تحترم من الطرف الآخر فضلنا ان نجمد لا ان نقطع، أن نجمد الحوار ريثما يعدلون عن القاعدة التي اقترحوها علينا من قاعدة المزاح الى قاعدة الجد، ولم نكتف بهذا بل كنا دائما قابلين لتوسط من اراد ان يتوسط، الى حد ان جلالة الملك فهد ملك المملكة العربية السعودية عرض نفسه كوسيط فقبلناه في الحين، واقترحنا على جلالته ان نجتمع في بيته بمربية الذي يعد طرفا من ارض المملكة العربية، وان نتناقش على مستوى القمة، وقلنا : اننا مستعدون في كل وقت وحين ان نذهب الى المناقشة والى المصالحة او الى التحكيم، علما منا ان ملفنا هو من فولاذ، فرفض الجانب الآخر. وهكذا كلما كان من الممكن ان يقف شخص او اثنان او ثلاثة شهود ماديين وحاضرين على اطروحة المغرب واطروحة



الآخرين، لم يتحقق ذلك الحوار.

الآن المعنيون بالامر يريدون ان يبقى الحوار ثنائيا حتى يمكنهم ان يلفقوا كما يريدون وان يزيدوا وينقصوا.

أمام هذا كله قررنا ان نضع حدا لهذه المراوغات والتشككات والترددات لدى الرأي العام العالمي، وان نجعل اصدقاءنا وحلفاءنا في حل وفي راحة من مواقفنا وحسن نوايانا.

وكنا نحن سنقوم بزيارة شخصية لهيأة الأمم المتحدة لنلقي هناك خطابا، إلا أن الظروف لم تسمح لنا بذلك، وكلفنا وزيرنا الأول السيد محمد كريم العمراني بأن يقوم نيابة عنا بالقاء خطابنا لكون ولي عهدنا كان آنذاك مازال في طور النقاهة بعدما اصابه من حادثة سير نحمد الله سبحانه وتعالى أن خرج منها سالما، غير منقوص.

وقام وزيرنا الاول بالقاء الخطاب، وكانت في الخطاب نقطتان هامتان :

الاولى : نحن نقرر وقف اطلاق النار بكيفية انفرادية من الآن، إلا إذا كنا في حالة الدفاع عن النفس.

الثانية : اننا مستعدون من فاتح السنة المقبلة لاجراء الاستفتاء في اراضينا الصحراوية مكلفين الامين العام لهيأة الامم المتحدة باتخاذ الاجراءات وان يضيف الى جهود هيأة الامم المتحدة جهود جميع ذوي النيات الحسنة من المجموعات الجهوية.

لماذا طلبنا من هيأة الامم المتحدة هذا الطلب ؟

لانه لا يمكن للوحدة الافريقية أن تكون خصما وحكما، فقد حكمت هي بقبولها تلك الجمهورية الوهمية، فلا يمكنها أن تكون ذلك حكما في الموضوع، واعتبرنا ان موقفنا سليم وان منطقنا سليم، وانه يرتكز قبل كل شيء على القانون وعلى الاعراف الدولية، فإذا به بدأت تخرج للوجود عراقيل اخرى، مثلا لا يمكن أن يكون الاستفتاء سليما مادام الجيش والادارة المغربية في الصحراء.

هذه الخرافة كنا سمعناها في نيروبي سنة 1981 وسنة 1982، وكان ردنا في هذا الباب لا يقبل اي شك، وكان ردنا مفحما للخصوم ومقنعا للاصدقاء، فاقتنعوا انه من الوهم ان تخرج الادارة المغربية والجيش المغربي من الصحراء عند الاستفتاء.

وها نحن نسمع هذه الاسطورة في هيأة الامم المتحدة هذه الايام الاخيرة، فأقول :

أولا : ليس هناك سابقة منذ سنين وسنين أن جرى استفتاء في بلد ما بعدم حضور الجهاز الموجود فيه لضمان سلامة وحرية السكان، وحتى لو لم نكن نعتبر المغرب والصحراء شيئا واحدا ولم يكن يعتبره الجميع الا كدولة تدير شؤون الصحراء لا سيادة لها عليها، لم تكن هناك اية سابقة حتى بالنسبة للدول المديرة للشؤون، ان تلك الدول انسحبت من البلد الذي تديره، ولم تتخل حتى ابان الاستفتاء عما يجب عليها من ضمان الامن وضمان حرية الاموال والارواح.

فإذاً لا يمكن أبدا للمغرب ان يتنازل تنازلا مثل هذا، لانه اولا شيء «لا يدخل لنا من هنا ولا من هنا» كما تقول العامة.

ثانيا ــ لانه خرق صريح لكل ما سبق من فتاوي في هذا المضمار في ميدان القانون الدولي.

ولنفرض ان المغرب قبل هذا فسيقبله بشروط، ان نسلم السكان نفس السلاح الذي هو عند خصومهم من مدفعية بجميع انواعها وصواريخ ومدافع وبنادق ورشاشات، واذذاك سنخلق الحرب الاهلية على تخوم ثلاثة بلدان من القارة الافريقية : على تخوم موريتانيا وعلى تخوم الجزائر وعلى تخوم المغرب القديم، ولا ننسى جزر الكناري التي ستدخل الآن الحلف الاطلسي، ولا ننسى كذلك ما يمكن ان يترتب عن ذلك بالنسبة لمالي والسينغال وموريتانيا، اذا كان هذا ما اراد المجتمع الانساني فطيب، هم يقولون انهم خمسة عشرة الف مسلح، وأنا عندي مائة الف، ولكن سنترك لهم نفس السلاح الذي عند اولئك، واذذاك سنبقى نتفرج، اذا كان ما يريده المجتمع الانساني والسياسي هو ان يطفيء النار باشعالها واضرامها فليتحمل مسؤوليته، ولكن لا أظن أننا سنصل الى هذه الدرجة من السخافة ومن تدهور المنطق وقلة بعد النظر.

شعبي العزيز

إنني فخور جدا في هذا اليوم أن أقول لك كطبيب كما قلت لك دائما ان الضغط الدموي الذي يجري في شرايينك ينبيء بصحة جيدة ولله الحمد، ويدفعنا الى الاستبشار والى مزيد من التفاؤل.

تتذكر شعبي العزيز حينما قمنا بالزيارة الحبيبة التي مازالت صورها في اعيننا الى أقاليمنا الصحراوية، فبعد التفكير وفي مناسبة 9 يوليوز كنا قلنا : اننا سنفتح قرضا وطنيا لسد حاجيات الصحراء، واننا سنفتحه بالشروط التي تعلم.

شعبي العزيز

لي الشرف بالنسبة لك، الشرف قليلا ما يقولها رئيس دولة لرئيس دولة، ولكن بالنسبة لك أقولها، لي الشرف انك حطمت ولله الحمد جميع الارقام التي كنت انتظرها منك، لاننا اليوم وصلنا الى مائة وخمسة وستين مليار سنتيم منها 35 في المائة من الاشخاص فقط، وهذا مهم من الاشخاص، والباقي جاء من الشركات والابناك، وان دل هذا على شيء فانما يدل أولا على ثقتك ببلدك وبعملتك، وان دل هذا على شيء فانما يدل على سلامة جسمك رغم انه في مارس كان هناك اقتراض مع انه جاء في آخر العطلة، ولو انه من المعروف ان الناس تصرف في العطلة اكثر، وجاء مطابقا للدخول المدرسي الذي يصرف فيه الآباء اكثر ما يمكن على الادوات المدرسية، ورغم هذا كله تمكنا شعبي العزيز، داخل المغرب وخارجه وفي ظرف أقل من ثلاثة أشهر من جمع 165 مليار سنتيم،

هذا شعبي العزيز هو الذي قلت انه يشرفني ان افسره لك، وان اطلعك عليه، وان عملية كهذه تدل اولا كما قلت على سلامة بدنك، وجسمك، ومن شأنها كذلك اذا كان الظانون يظنون بأنهم قد انهكوا واستنزفوا دمك، فانهم مخطئون على طول كما يقولون في الشرق، وأزيد وعلى عرض، فإنهم غالطون طولا وعرضا، واليوم وغدا، فليكونوا على يقين اننا حينما اقسمنا قسم المسيرة كنا نعلم على ماذا نقسم، وحينما قدمنا قسم المسيرة كنا نعلم جميعا ماذا سنضع في الميزان، روحا ومالا وطموحاً واستشهاداً.

لم يكن لنا شعبي العزيز ان نحتفل هذا الاحتفال الزاهر بهذه المسيرة لو لم تكن هناك بسالة الجندي المغربي، ذلك المغربي الجديد، كما قلت لك في العيون الذي اكتشفته على تخوم الصحراء، ذلك النوع الجديد من المغربي الشاب المرابط، ذلك النوع الجديد من الشباب المغربي الذي يعتبر ان كل ما يعيشه فوق الارض الآن هو زائد وربح، لانه حينما ارتدى لباسه العسكري اعتبر نفسه قد ازهقت، ودمه قد أريق، وانه قد استشهد.

هذا هو النوع الجديد من المغربي الشاب الذي قلت لكم انني تعرفت عليه بتأثر عميق وتعرفت عليه بافتخار لا يساويه افتخار.

شعبي العزيز

ربما لا تعرف حق المعرفة عظمة هذه المسيرة التي قمت بها، فاعلم رعاك الله اولا أنها من الناحية البشرية هي أعظم مسيرة في العالم باسره منذ فجر التاريخ، فحينما قمنا بهذه المسيرة راجعت كتب التاريخ فما وجدت الاسكندر ذا القرنين، ولا جانكيز خان، ولا أثيلا، ولا سيزار ولا اي كان، جر وراءه عددا من البشر مثل عدد المشاركين في المسيرة.

ثانيا : هي مسيرة رائعة فريدة من نوعها، لانها بدون سلاح، واذا راجعت الصور التي تمر على شاشة التلفزيون فسترى أن جميع رجال الامن، والدرك، وقوات احتياطية الذين كانوا يسيرون كانوا يحملون الغشاء خاليا من السلاح.

ثالثا : المسيرة التي كانت مثقلة، مثقلة بالطبع بوجود النساء، لان النساء اذا كن عنصرا ضروريا للحماسة ولدفع الرجال وللتشجيع، فهن في بعض المواقف يشكلن شيئا ما من العبء.

شعبي العزيز

راجع هذه العناصر كلها وافتخر، ارجوك ان تفتخر بحمد وتواضع لتعلم انك قمت بمسيرة واحترمت جميع مراحلها، وانتظمت عند انطلاقتها كما انتظمت عند توقفها، وكما امتثلت عند رجوعها، فالمخطط لها ليس الا مخطط ملهم من الله سبحانه وتعالى، اما انت والذي سار قبلك، سار منذ ألف واربعمائة سنة، وسار قبل ان تزداد بمئات السنين، وسيبقى يسير على هذا النهج، نهج النقاهة والسلام والثقة في عمله : بلده والتضحية المستمرة، الحوار قبل كل شيء، الابتعاد عن الترهات، المناقشة في المواضيع اللائقة، التشبث بالقانون وعدم الاستهزاء بالمحاور، احترام النفس في الحوار، وأخيرا اعطاء لفظ الاستشهاد جميع معانيه حربا وسلما وشرفا وحياة واسرة ومالا..

أبقاك الله سبحانه وتعالى شعبي العزيز على هذه الخصال، لانك تستحقها مادمت تتعلق بكتاب الله وسنة رسوله، ومادمت في الآونة الاخرى ترى في مرآة السير التي ترى فيها من الامام مثل سائق السيارة، تاريخك الحافل المجيد، فلتأخذك الغيرة على حاضرك، والطموح لمستقبلك.

والسلام عليكم ورحمة الله.

الأربعاء 22 صفر 1405 — 6 نونبر 1985